

المشهد الديني في الجزيرة العربية قبل الإسلام

الساسني الضيفاوي
باحث تونسي



قسم الدراسات الدينية

المشهد الديني في الجزيرة العربية قبل الإسلام*

* يمثل هذا البحث الفصل الأول من الكتاب الذي أصدرته مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث سنة 2014 تحت عنوان: "ميثولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام".

الملخص:

يهتمّ هذا الفصل برصد خصائص المشهد الديني في الجزيرة العربية قبل الإسلام، استنادًا إلى أبرز مصدرين عربيين قديمين في الموضوع، وهما: كتاب "الأصنام" لهشام بن الكلبي (ت204هـ)، وكتاب "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" لأبي الوليد الأزرق (ت 223هـ حسب حاجي خليفة).

ويتوصّل الباحث من خلال الإحاطة بمظاهر التعدّد العقائدي الذي كانت تعجّ به الجزيرة العربية، ولا سيما في مكة، جرّاء موقعها الجغرافي المفتوح على قوى حضاريّة مختلفة، إلى مجموعة من الاستنتاجات.

فأولها أنّ الصنميّة المنتشرة عبر عبادة الأصنام والأوثان والملائكة والجنّ، كانت تعبّر عن انتقال الاعتقاد الدينيّ في المنطقة من الطوطميّة أو عبادة الظواهر الطبيعيّة، إلى عبادة الأرواح. وهي ظاهرة نتجت عن عمليّة تأليه للبشر، كالأسلاف والأجداد والأسياذ والصالحين.

وأما ثاني الاستنتاجات فهو مرتبط بمسألة تأليه البشر هذه، إذ يتّضح من البحث في عقيدة التثليث في الجزيرة العربية، اتّصالها بعبادة الكواكب والتثليث الفلكي عند الفينيقيّين والبابليّين والإغريق. وهي بدورها قدسنة للتصوّرات الكسمولوجيّة حول علاقة الإنسان بالكواكب.

وأما الاستنتاج الثالث، فهو ارتباط هذه المعبودات بأماكن مقدّسة متعدّدة، حتّى بلغت نظائر كعبة مكة الإحدى والعشرين كعبة.

ويخلص الباحث في حصيلة هذا الوصف للمشهد الدينيّ في الجزيرة العربية قبل الإسلام إلى تفسيره الاجتماعيّ، حيث يبيّن أنّ أبرز محدّداته بنية المجتمع الجاهليّ القبليّة التي يكون فيها للقبيلة الدور الأبرز في التوجيه الدينيّ. فطبيعة الممارسة الدينيّة كانت بالنسبة إلى القبيلة علامة تميّزها وتعيين وجودها بين القبائل الأخرى، وأداة خلق الوعي الجمعيّ وتقوية الصلة بين أفرادها.

ليس من السهل تكوين فكرة صحيحة وواقية عن مفهوم الدين والتدين عند عرب الجاهلية، وكيفية عبادتهم لآلهتهم، وكيفية تصوّرهم لها، لعدّة اعتبارات لعلّ أهمّها عزوف المؤرّخين الإسلاميين والرّواة والإخباريين عن الخوض في أمور وقضايا حاربها الإسلام.

إلا أنّنا ربما الصّعاب اعتقاداً منّا أنّ العقل وإن لم يكن هو "منشأ المعتقد فإنّه لقادر على المجادلة في أمره واكتشاف ما فيه من خطأ وضلال، ومع ذلك نسأل لماذا يُهيمن المعتقدُ على النّاس على رغم مناقضته لأكثر الأدلّة وضوحاً والمعقولات جلاءً؟"¹، وحاولنا في هذا الفصل أن نُجيب على جملة من الأسئلة على نحو:

ما مدى أهميّة الإله الذي عبده الجاهليّ؟ هل هو وليد المخيال الجمعي وتمثّلاته، أم هو نتاج جملة من السياقات الدينيّة والاجتماعية والثقافية والسياسية؟ ماذا عبد؟ وكيف عبد؟ هل عرف عربُ الجاهليّة عقيدة التثليث؟ هل عرف العربُ الطوطميّة؟ هل هذه الهويّة الإلهيّة تدلّل مشكلة الإنسان الوجودية؟

1- معبودات العرب قبل الإسلام

لقد كانت الجزيرة العربيّة تعجّ بشتّى العقائد ومختلف الديانات على اختلاف صورها وتعدّد طقوسها، ساعد على ذلك أنّ العرب كانوا أهل تجارة، لا يستقرّون على حال، رحّل، طلباً للماء والكلاء، يكتثرون من التنقّل والسّفر، ويختلطون في سفرهم بمختلف الأمم والأجناس والثقافات والعادات والعوائد والتقاليد والمعتقدات وطقوس العبادات، وكان أهل مكّة أكثر العرب تأثيراً وتأثراً مع غيرهم بحكم الموقع الجغرافي، فمكّة بين الشّام واليمن قطبي تجارة العرب، ثمّ بئرها زمزم تُزوّد قوافل التجارة بالماء غادية ورائحة.

فإذا ولّينا النظر شمال الجزيرة العربيّة نجد الغساسنة من عرب الجنوب القحطانيين، ونقصد قبائل غسان وقُضاعة وربيعة، وقد اتّبع الغساسنة الديانة المسيحية تأثراً بجارتهم الدولة الرومانيّة، وكان أشهر ملوك الغساسنة الحارث بن جبلة بن الأيهم (528-570م)، من الملوك الذين تحالفوا مع الرّومان وحموهم من هجمات الفرس خاصّة، والمعلوم أنّ الدولة الرومانيّة كانت في البداية وثنيّة، وأنّها قد اعتنقت الدّين المسيحي بعد مدّة طويلة.

¹- غوستاف (لويون)، الآراء والمعتقدات، ترجمة عادل زعبيتر، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس، ط1، مارس، 1995، ص 193

أما جنوب الجزيرة فكانت بلاد اليمن التي تنوس بين اليهودية في ظلّ حكم زرعة بن كعب بن حسّان الملقّب بذي نوّاس الحميري الذي اعتنق اليهودية²، واضطهد المسيحيين في بلاد اليمن، والمسيحية التي لم تنتشر إلا في عهد النجاشي الذي فتح البلاد ثمّ اعتنقت المجوسية في عهد كسرى أنوشروان.

أما الشرق فكان أحياناً يهودياً في منطقة بني الحارث وحمير من بلاد اليمن، وكذلك يثرب المتمثلة في قبائل ثلاث كبرى بني قريضة حليفة قبيلة الأوس العربية، وبني النضير وبني قينقاع حليفة قبيلة الخزرج العربية³. وهذا ما أفرز، سيفساء عقديّة، الدهريّون واليهود والمسيحيّون والوثنيّون والمجوس والصّابئة والأحناف، وكانت قبائل جزيرة العرب وما جاورها موزّعة بين هذه الديانات.

لقد تأثر عربُ الجاهليّة بما حولهم وخاصّة أمور الدّين والثّقافة والتجارة، فقد أدخل أهلُ مكّة بعد عهد إسماعيل عبادة الأوثان التي استوردوها غالباً من الأنباط في الشمال، ولعلّهم ولأسباب سياسية وسياسية وتجارية واقتصادية، كانوا يرحّبون بكلّ أنواع الأصنام والأوثان، لتشجيع عبّادها على زيارة مكّة، ممّا أحدث حراكاً دينياً واجتماعياً واقتصادياً، وهكذا تحوّل الفضاء المكّي إلى معرض للأصنام والأوثان حتّى بلغت ثلاثمائة وستّين صنماً⁴. وعلى الرغم من هذا الكمّ من الطقوس والمعبودات والعبادات، فإنّ عبادة الأوثان والأصنام كانت هي السائدة، فكلّ قبيلة لها صنمها، ولها ربّها تعبدّه مخلصه له الدّين بل وكان "لأهل كلّ دار من مكّة، صنم في دارهم يعبدونه"⁵.

والظاهر أنّ وجود الأصنام في بلاد العرب كان قبل وجود نوح، إذ ظلّ قومه يعبدونها دهرأ طويلاً، واتخذوها آلهة، يرجون الخير، ويستدفعون بها الشرّ، ويردّون كلّ شيء في الحياة إليها، ودعوها بمختلف الأسماء تارة ودأً وسوّاع ويغوث، وطوراً يعوق ونسرا⁶، ولعلّ ما يفسّر تعدّد الآلهة قديماً "إنّما كان سببه حاجة الإنسان إلى قوّة قاهرة مجسّمة في أغلب الأحيان في ذلك الصنم الذي يصنعه بيده يقيه شرّ الكوارث

² - انظر، ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب)، كتاب الأصنام، تحقيق وتقديم أحمد زكي باشا دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 1995، ص10.

³ - لقد اعتمدت في هذا التوزيع الجغرافي للجزيرة العربية من حيث القبائل والديانات على خرائط العالم قبل الإسلام، انظر:

دمونس (حسن)، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص ص 45 إلى 47

⁴ - انظر، أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار، ج1، ص ص 120-121

⁵ - الأصنام، ص 33

⁶ - انظر، نفسه، ص 6

والمصائب، فلم يعبدها لذاتها بقدر ما عبدها لكونها الدرع الواقي من الأخطار والشُرور والحرز الذي يتحرّز به ممّا قد يلحق به من أذى مع كرّ الدّهور"⁷.

إنّ ما نستشفّه من طقوس وعبادات وفضاءات دينيّة، وتنوّع المعتقدات، كان أوّلاً إغناءً ودعماً لمتطلّبات المرء الروحيّة والنفسيّة والاجتماعيّة، وثانياً تمكّناً من فهم أعمق للتعبيرات النفسيّة والأنساق الاجتماعيّة والتصورات العقديّة نظراً إلى ما تختزله من معجم دلاليّ يُعين على فكّ رموز الظواهر الاجتماعيّة، ويعطي قيمة أكثر للمدلولات الثقافيّة والأنثروبولوجيّة، وتجدر الملاحظة أنّ الآلهة والفضاءات الدينيّة تتوزّع على القبائل والأشخاص نظراً إلى عوامل اجتماعيّة بيئيّة وانعكاساً للأحوال النفسيّة ورغبات روحيّة.

ونقف في كتابي أخبار مكّة والأصنام على أسماء آلهة ارتبطت بشخوص أو عشائر وأصبحت لها طقوس خاصّة بها فقد كانت "تُثيف تخصّ اللات كخاصّة قريش العزّي، وكانت الأوس والخزرج تخصّ مناة كخاصّة هؤلاء الآخرين"⁸، ومثلاً تفرّدت بعض القبائل بأصنام خاصّة بها، تميّزت أيضاً ببعض الطقوس على نحو ما كانت تُقدم عليه الأوس والخزرج "ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها، فكانوا يحجّون فيقفون مع النّاس المواقف كلّها، ولا يلقون رؤوسهم. فإذا نفروا أتوه، فحلّقوا رؤوسهم عنده وأقاموا عنده، لا يرون لحجّهم تماماً إلا بذلك"⁹.

وبتتبّعنا الكتابين السابقين وقفنا على نزعة دينيّة وأنماط طقسية لدى عرب الجاهليّة، فعبادة الأصنام والأوثان من قبيل اللات والعزّي ومناة هي آلهة قديمة معروفة في الشّرق، أمّا مؤسّسة الحجّ وما اتّصل بها من شعائر من مثيل الدّوران والطّواف وتقبيل الحجر الأسود وزيارة منى ومزدلفة، وتقديم العتائر والقرايين، فهي طقوس وشعائر متواترة منذ إبراهيم وإسماعيل، فقد كانت الكعبة المحتوية على الحجر الأسود الضّاربة جذوره في التاريخ العتيق تشي بأنّ المؤسس هو آدم، بل لعلّها الملائكة¹⁰. أضف إلى ذلك أنّنا وقفنا على انعكاسات الديانات السابقة من مجوسية وصابئة ويهودية ومسيحية، وما أفرزته الحضارات المترامية والمحاذية للجزيرة العربيّة من رومانية وفارسية وبيزنطية، هذه الفسيفساء الحضاريّة والتاريخيّة والدينيّة يبعديها الشعائري والطقوسي أثّرت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في عرب الجاهلية وبصورة أخصّ في سگان مكّة ممّا حدا بهم أن يرثوا إرثاً ثرياً استفادوا منه في اختياراتهم ونحلهم وآلهتهم.

⁷ - العبيدي (محمّد المختار)، "ديانة العرب في الجاهليّة"، الحياة الثقافيّة، تصدر عن وزارة الثقافة والمحافظة على التّراث، تونس، العدد 199، جانفي 2009، ص 5

⁸ - الأصنام، ص 27

⁹ - نفسه، ص 14

¹⁰ - انظر، أخبار مكّة، ج 1، ص ص 32 إلى 42

إنه صراع الإنسان الأبدي لا لشيء إلا لأنه إنسان يريد تأصيل كيانه وتأسيس اختياراته وتثبيت مواقفه، إلا أن هذا "الصراع ملك كل شيء، إذ يجعل من البعض أقراناً للآلهة، ومن الآخرين أناساً عاديين، ويجعل من البعض عبيداً، ومن البعض الآخر أحراراً"¹¹، لذلك استبسل عربُ الجاهلية في الدفاع عن معبوداتهم وأصنامهم ويتجلى ذلك من خلال ما رواه الرواة وما أدرجه ابن الكلبي أو الأزرقى، فلما تم فتح مكة مثلاً التقى محمد بجرير ابن عبد الله الذي جاء مسلماً، وقد أرسله نبي الإسلام إلى هدم ذي الخصة، فقاتله خثعم وباهلة، وقُتل من سدنة ذي الخصة من باهلة يومئذ مائة رجل، وأكثر القتل في خثعم، وقُتل مائتان من بني قحافة بن عامر بن خثعم¹²، إنها لحرب ضروس استمات فيها الجاهليُّ دفاعاً عما يعبد، إيماناً منه أن ما ذهب إليه من تدين يُعدّ مقوماً من مقومات وجوده.

إنّ ثقافات الشعوب وطرق حياتها المختلفة تنتج عن اجتماع عدّة عناصر حضارية وتاريخية ومادية وأنساق خرافية وأسطورية ورموز دينية، لذلك كان من أنجع الطرق التي يتوسّل بها الإنسان ليحدّد علاقته مع الماضي وليتعرّف إلى هويته وليعرف حدود ما هو ممكن وما هو مستحيل، أن ينكبّ على دراسة تاريخ هذه الشعوب ونمط عبادتها، ومن تجليات ذلك أنماط تديّنها وصور آلهتها وطقوسها ومعبوداتها وفضاءاتها وسدنتها، ممّا حدا بنا أن نتتبّع ذلك من خلال أخبار مكة والأصنام وسنعمل على بيانه من خلال الجدولين الآتيين:

¹¹ - جيرار (رينيه)، العنف والمقدس، ترجمة جهاد الهواش عبد الهادي عباس، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1992، ص 113

¹² - انظر: الأصنام، ص 36

الصفحة	المدونة	مهذمه	رمزيته	موضعه	سدنته	قبائل تعبدت له	الآلهة/اسم الصنم
9 29 119 120 122 178 88 89	الأصنام	كسّرهما النبي محمد يوم فتح مكة.	تعشقها في الكعبة فعدّ ذلك فجوراً، فمسخا أصناماً وكانّ الخطيئة تمّ التكفير عنها بالمسح في صورة هذين الصنمين وكانّ المسح عقاباً وتحريم للاتصال الجنسي بين الحجّاج وفي الوقت نفسه هو تحريم لتعاطيه في الكعبة أو في حماها. إنّه تلبّس المقدّس بالدنيوي أو العقاب من أجل الفطري والغريزي فينا، أو قد يكون إقصاء المادّي والطبيعي، أو هو امتزاج الأسطوري بالحقيقي، إنّه درس تروهيبي لكلّ من تسوّل له نفسه أن يتجاوز المقدّس. ويمكن أن نقول إنهما نموذج لعبادة الخصب الأوّل المتمثّل في الزواج النّمودجي عند الجاهليين، وقد لا تخرج قصّتهما عن قصص العشق عند العرب الجاهليين من أمثال عنتر وعبلة وجميل وبثينة.	أخرجا من الكعبة فنصبا على الصفا والمرورة حيث ثمة شعيرة السعي.	حلف بهما أبو طالب ودعا عمرو ابن لحي إلى عبادتهما.	خزاعة وقريش ومن حجّ البيت بعد من العرب.	أساف ونائلة، ويذهب ابن الكلبي أنّهما من جرهم، أساف ابن يعلي، ونائلة بنت زيد، وقد ذكر الأزرقى نسباً مختلفاً لهما يغيّر النسب الذي ذكره ابن الكلبي، أساف ابن بغا ونائلة بنت ذئب وفي رواية ثانية أساف ابن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذيب ويرجّح الأزرقى التسمية الأخيرة.
9 10 50 إلى 52 57	الأصنام	عمرو بن العاص	تذهب بعض الروايات منها رواية الواقدي أنّه كان على صورة امرأة، أو هو اسم لرجل صالح من قوم نوح على رأي ابن الكلبي، وقد يكون ذلك من تجليات التخليد، فخلعت عليه بعد ذلك صفة القداسة.	ذكر ابن الكلابي روايتين فقال مرّة برهاط من أرض ينبع ولعلها واد من أودية المدينة وأخر برهاط من بطن نخلة.	بنو لحيان، ويقال الحارث ابن تميم ابن سعد ابن هذيل	بنو قابيل ابن آدم ومضمر، وهذيل وكنانة	سواغ
10 50 إلى 52 55 57 إلى	الأصنام	خالد بن الوليد	لقد أغفله الأزرقى، ويقال إنّه صالح من صلحاء قومه مات فتحت له تمثال على هيئته، عليه خلتان وعليه سيف وقد تنكّب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء، حرّمت عليه النساء، ولعلّه يُشكّل إله الحرب، أو قد يُشابه إله الحبّ والبطولة عند الرومان، ونحن نرى تقارباً بين اسمه الذي يفيد الحبّ وبين ما اتّصف به من سيوف ونبال فهو إله الحرب والقتال والدّماء وإن كان اليوناناً بين الودّ والقتال، إلا أنّه قد يكون من أجل الحصول على ما نوّد ونحبّ.	دومة الجندل، وادي القرى بجرش.	عامر بن عوف بن عذرة ويقال له: عامر الأجدار.	كلب بن وبيرة، وأحياء قضاة وبنو عبد ودّ، وبنو عامر الأجدار وبنو قابيل بن آدم.	ودّ
10 50 إلى 52 57	الأصنام		لقد أغفل ذكره الأزرقى في حين يذهب جواد علي أنّه كان على صورة بعض الحيوانات والطيور بينما يرى الواقدي والمخشري في الكشف أنّه على صورة أسد وحسب القرآن هو صنم من أصنام نوح، ويرجّح ابن الكلبي أنّه كان يُحمل في المعارك والحروب مع بني أنعم من ذلك خروجهم على قبيلة مراد ويفضله تمّ الانتصار، فهو الفأل والسند والمغيث وقت	أكمة باليمن يُقال لها مُذحج.	أنعم بن عمرو المراديّ	مُذحج وأهل جرّش وبنو قابيل بن آدم وهمدان	يغوث اسم رجل من الرّجال الصّالحين من قوم نوح على رأي ابن الكلبي.

			الشدة، يُدافع عن القبيلة في ساحة القتال.				
10 50 إلى 52 57	الأصنام		لم يذكره الأزرقى، أما ابن الكلبي فلم يُفصل القول في صورته وهيئته وشكله، وعلى رأي الواقدي مثلاً هو على صورة بعض الحيوانات والطيور، أما الزمخشري في الكشف فيرى أنه على صورة فرس، وفي رأينا لعل هذا ما يشي بأن العربي قدس الحيوان وعبده وهو ما يُفسر منحى الطوطمية عند العرب.	قريصة خيوان وتقع على بُعد يومين من صنعاء.	مالك بن مُرثد بن جشم بن نوف بن همدان.	خيوان، همدان ومن الإها من أرض اليمن، قوم نوح، بنو قابيل ابن آدم	يَعُوْقُ
11 إلى 13 56 57	الأصنام	تَبَع أو ذو نَوَاس فقد وردت الأخبار متضاربة في الأصنام.	لئن وردت الأخبار متضاربة في الأصنام، فإن الأزرقى لم يذكره، في حين ذهب الزمخشري في الكشف إلى أنه على صورة طائر النسر والأمر نفسه ذهب إليه الواقدي وجواد علي، والأرجح أنه من أصنام العرب التي نالت تقديساً وتعظيماً كبيرين لأنها جسدت الآلهة.	موضع من أرض سبأ، يُقال له بلخع، وموضع في صنعاء ريام وورد بصيغة رنام.	معدُّ يكرب	حمير ومن الإها حتى هودهم ذو نَوَاس الحميري وبنو قابيل بن آدم وآل ذي كلاع	نِسْرٌ
13 إلى 15 125 131	الأصنام	علي بن أبي طالب بأمر من محمد سنة 8هـ وقيل أبو سفيان ابن حرب ويذهب الأزرقى أنه سعيد ابن عبيد الأشهلي.	كان عليه سيفان أهداهما إليه الحارث بن أبي شمر الغساني، فوجود السيفين يُشير إلى إله ذي طبيعة حربية، أحدهما يُسمى مخدماً والآخر رؤوبياً، وهو إله من الثالوث العربي المكي تسمت بالغرناق، والغرناق طائر مائي أبيض، فلعلها آلهة في شكل طائر مما يفسر لنا مرة أخرى هذا العمق الطوطمي في ديانة عرب الجاهلية، ويذهب ابن الكلبي إلى أنه قد يكون واسطة للتقرب ووسيلة لقضاء شؤونهم لذلك يُعظّمونه ويذبحون له ويهدون له ويُقسمون به، ولا يتم حجهم إلا بخلق رؤوسهم عند هذا الصنم والإقامة عنده، وهذا يُفسر مدى الولاء والتقدير، وهو ملمح رمزي يدل على الجذور التاريخية والأسطورية والحضارية لهذا النمط من التعبد ¹³ ، ويذهب الباحث محمد المختار العبيدي أن مناة عند هذيل رمز السعادة وإلهة المصير وربّة الموت والأجل، وهي معروفة من هيرودتس الذي يسميها (Alilat) ويعتبرها شبيهة ببعض آلهة اليونانيين.	على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة. ولها مذبح خاص في هذا الموضع، حيث كانت تُنصب على هيئة حجر كبير	الغطاريف من الأزرد حسب الأزرقى، أما ابن الكلبي فيرى الأوس والخزرج	كانت قُريش وجميع العرب تعظّمه، وغسان من الأزرد ومن دان بدينهم من أهل يثرب وأهل الشام والأوس والخزرج وخزاعة وهذيل	مناة
15 59 إلى 62	الأصنام	علي بن أبي طالب.	صنم أسود، كأنه تمثال إنسان، لا يأتي خائف إلا أمن عنده، حيث يُحقّق له توازناً نفسياً وطمأنينة، فهو سند الضعيف ومفرج الكرب، له سيفان قلده إياهما ملك غسان الحارث بن أبي شمر الغساني مخدّم ورسوب، ذكرهما علقمة بن عبده في شعره، وقد سبق لابن	جبل يُقال له أجأ	بنو بولان وآخرهم رجل يُقال له صيفي.	طي ومن يليهم، ولم يزل يُعبد حتى ظهر الإسلام.	الفلس، وقد ضبطه ياقوت الحموي بضمّ الفاء واللام.

¹³ - انظر مثلاً: الأنعام 184/6، النحل 35/16، الزمر 3/39، النجم 19/53 و20

			الكلبي أن قال إنهما كانا على صنم مناة، أما الأزرقى فلم يُعرج على ذكر هذا الإله.				
16 17	الأصنام	المغيرة ابن شعبة.	يرى ابن الكلبي أنه صخرة مُربعة أحدثت من مناة وفي رواية ثانية كانت اللات والعزى ومناة في كل واحد منهن شيطانة تكلمهم، ويقول إن اللات والعزى ومناة كن بنات الله في اعتقاد الجاهلي وهن يشفعن إليه. في ما يرى الأزرقى أن اللات كان رجلاً من ثقيف. وفي ظل تضارب الأخبار والمرويات لا يمكن لنا أن نطمئن إلى رأي، بيد أنه يبقى من أكثر الآلهة تواتراً، وقد يكون إلهاً للخصب والحياة النباتية استجابة للطبيعة الصحراوية والجافة.	الطائف في موضع منارة مسجد الطائف اليوسرى اليوم.	بنو عتاب ابن مالك ويرى الأزرقى أنه آل أبي العاص ابن أبي يسار بن مالك وفي رواية أخرى بني ثقيف.	قريش وثقيف والطائف وجميع العرب يُعظمه.	اللات، وإن كانت آلهة العرب الكبرى وأم الآلهة إلا أن الباحث فراس السواح يرى أن أصولها البعيدة ليست عربية وإنما سامية كنعانية، فالاسم في شكله الأصلي هو ايلة أو ايلات من اسم كبير الآلهة الكنعانية ايل، وايل يحيلنا على أنه أصل اسم الله.
126 127	أخبار مكة الجزء						
17 إلى 26 44	الأصنام	خالد بن الوليد سنة 8هـ	أعظم الأصنام عند قريش، كانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالدبح، لها منحدر ينحرون فيه هداياها يُقال له: الغبغب، بل قد أهداها محمد شاة عفراء وهو على دين قومه، وكان نص طواف التلبية عند القرشيين يتشكّل من معجمها، ويذهب ابن الكلبي إلى أنها شيطانة تأتي ثلاث شجرات ببطن نخلة، فهي حبشية نافشة شعرها، واضعة يديها على عاتقها تُصرف بأنبيائها، إلا أن ابن الكلبي في رواية أخرى يرى أن العزى وصفت عند عرب الجاهلية بالسعيدة ربما لما تحققت إلى من يتوجه إليها بالعبادة والقرابين فتُسعده، أو لعل مجرد رؤيتها وزيارتها والتبرك بها يُحقق السعادة، أو قد تُمثل مدار السعادة للإنسان عندما ينتشي وينتصر ويعتقد أنها مصدر هذا الانتصار فيتوجه إلى رمز السعادة لشكره، هذه كلها دلالات توحى بأهمية العزى ومكانتها عند العرب وهي تتأرجح بين الصنم والشيطان والطائر فهي واحدة من الغرائق العلى أي الطيور البيض، وقيل كانت شجرة أو ثلاث سمرات وقد جعلوها بيتاً فوق مرتفع وأن له علاقة ما بالنخل أو الشجرات الثلاث، ومعبد العزى أو بيتها يُدعى بس أو بساء، ومن أسماء مكة الباسية، فماذا نفهم من هذا التقاطع بين الاسمين؟ لعل العزى معبدها بمكة، فالكعبة الجاهلية معبد العزى، وهذا التنوع والتباين في الشكل والدور قد يُفرضي إلى تراكمات تشي بالصراع بين الصورة الجلية والتجليات الغيبية والأسطورية.	حراض وهو واد ويُقال له سُقام يقع على يمين المسافر إلى العراق من ناحية مكة. ولعله يحمل دلالة التحريض والدفع على القتال والإحماء عليه، من حرض تحريضاً أي حنّ ودفع.	أفلح بن التضرر السلمي من بني سليم حسب الأزرقى ويرى ابن الكلبي أنه ظالم ابن أسعد وقيل: سعد بن عامر بن مرة وفي رواية أخرى: بنو شيبان ابن جابر ابن مرة من بني سليم، وآخر من سدنهم دبيبة بن حرمي السلمي.	كانت لقريش وخزاعة وبنو كنانة وجميع مضر كذلك بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وهم من بطون هوازن وهو لبني شيبان بطن من سليم حلفاء بني هاشم.	العزى وهي أحدث من اللات ومناة وقيل إنها بصورة امرأة وقيل بصورة نخلة.
125 إلى 128 131 340	أخبار مكة الجزء الأول						
22 27 28	الأصنام		أعظم الأصنام في جوف الكعبة، وقد كان رباً للعرب، وقيل هو من زجاج، وقيل من نحاس، وقيل من ذهب، وقيل من العقيق الأحمر، وذهب ابن الكلبي أنه على صورة إنسان،	أتى به عمرو ابن لحي ونصبه	خزيمة ابن مدركة ابن إلياس ابن مضر.	خزيمة وخزاعة وقريش وفي اللسان	هبل، يذهب الباحث فراس السواح أن أصل التسمية بعل وتمت إضافة الهاء

117 إلى 166	أخبار مَكَّة الجزء الأول		مكسورة يده اليمنى جعلت له قريش بدأ من ذهب قدامه سبعة أقداح تجمع كل مناحي الحياة واحتياجات الإنسان، وقد يكون هذا الإله رمزاً للتضرع والانتصار يستخبرونه في أسفارهم وحرورهم وسائر أمورهم، فإذا أرادوا أن يختنوا غلاماً، أو ينكحوا أيماً أو يدفنوا ميتاً ذهبوا إلى هبل بمائة درهم وجزور، وكأنه المسؤول عن التصيب ووفرة الحظ ولعله إله الخصب والرزق والسعادة عند العرب حيث تقام عنده مراسم الأفراح والأحزان، لكن كيف يقبل عرب الجاهلية أن يعبدوا إلهاً مُعاقباً مشلولاً، يشكو عاهة البتر؟ كيف يُعظمون صنماً أقطع؟ وتذهب بعض الدراسات الاستثنائية إلى أن هبل هو رمز إله القمر وهو إله الكعبة، وهو عند الجاهليين من شدة تعظيم قريش له وضعوه فوق الكعبة، وأنه كان الصنم الأكبر في البيت، وقد ورد اسم هبل في الكتابات النبطية التي عُثر عليها في الحفريات.	على البئر الذي حفره إبراهيم في بطن الكعبة.		هو صنم لقوم يونس وقيسي الصّحاح صنم لقوم إلياس.	للتعريف وحذف العين، ويعمل إله السوريين وهذا يُفسر تاريخياً حيث أن صنم هبل تم جلبه من الشام، ويمكن أن يكون الاسم مركباً من هب إيل أي أعط الله.
30	الأصنام	المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد.	لئن أغفله الأزرقى فإن ابن الكلبى يذهب مرّة إلى أنه إله وأخرى أنه بيت لبني ربيعة. ونحن نعتقد أنه يجمع الإثنين معاً فقد يكون صنماً في بيت قبلة للعتائر والقرايين والإطعام.	كانت عبادته منتشرة بين العرب الشماليين	قريش وبنو ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد وقبائل تميم وطى وثمود	رُضَى أو رُضاء ورد اسمه في كتابات ثمودية عديدة	
32	الأصنام		يذهب ابن الكلبى في تقديره إلى أن هذا الإله من أجداد الرسول يُلقب قمر البطحاء، وقد اختص بطقوس مثل منع الحيض من النساء من الدنوّ منه، وعدم تمسّحهنّ به، كن يقفن ناحية منه.	عدم علم الكلبى مثلاً بموضعه ولا بمن نصبه	قريش	مَنافُ	
34 إلى 36 47	الأصنام	جرير بن عبد الله البجلي	تباينت روايات المؤرخين والإخباريين واختلقت آراؤهم عن ذي الخصة ومكانه والقبائل التي كانت تُعظمه سواء ابن الكلبى أو الأزرقى أو رواية ابن منظور، مادة (خ، ل، ص)، ص 29/7 ويذهب البعض أنه مزار وكعبة وبيت وصخرة وشجرة ويذهب الأزرقى أنه بيت لختعم كان يُدعى كعبة اليمامة وكان فيه صنم يُدعى الخصة وهو من الأصنام التي كانوا يلبسونه القلائد ويهدون إليه الشعير والحنطة ويصنّون عليه اللبن، ويذبحون له ويعلقون عليه بيض النعام، ويرجّح الأزرقى أنه كان يُسمى الوليّة، والوليّة مُشتقة من الولي ومعناه النصير والمحب وهذا ما يُفسر تسمية المزارات والمقامات والحسينيات بهذا الاسم حتى الآن، وتجدر الملاحظة أنه حتى بعد هدمه وقع الرجوع إلى ذي الخصة وكانت دوس ومن يجاورها من القبائل في الطبيعة التي رجعت إلى ذي الخصة تتمسّح به وتُهدي له وتنحدر عنده. وقال ابن الكلبى يُسمى الكعبة اليمانية، كما	حسب ابن الكلبى، تباله وهو موضع بين مَكَّة واليمن، ويذهب الأزرقى إلى أنه عتبة باب مسجد تباله.	بنو أمامة	خِثْعَم وبجيلة ودوس وأزد ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن.	ذُو الْخَلْصَةِ، ذهب ياقوت الحموي أنه تسمى كذلك لأن عباده والطائفين به خلسة
124 إلى 377 382	أخبار مَكَّة الجزء الأول						

			دُعي بالكعبة الشَّامية، بل ذهب أنَّ له ثلاثة أقداح الأمر والنَّاهي والمتربِّص أي استقسم العرب عنده للإقدام على عمل أو الانتهاء منه أو التربِّص، وفي رواية ثانية أنَّه مروءة ببيضاء منقوشة مثل هيئة النَّساج، ولا يفوتنا بأن نستخلص بأنَّه من أهم آلهة الجزيرة العربيَّة في الحديث: "لا تقوم السَّاعة حتَّى تضطرب ألياب نساء دوس على ذي الخلصة" أخرجه البخاري ومسلم، والذي نفهم أنَّ عودة عبادته وكأنَّها من علامات قيام السَّاعة.				
36 37	الأصنام		وهو عبارة عن صخرة طويلة كان يهرق عليه الدَّماء، وإن أغفله الأزرقى فإنَّ المعلومات عند ابن الكلبي كانت شحيحة للغاية.	ساحل جدَّة	قضاة وعكَّ ومالك وملكان ابني كنانة	سعدُّ	
37 131 374 388	الأصنام أخبار مگة الجزء الأول	الطفيل ابن عمرو الدوسي وقد كان إحراقه بعد البعثة.	حسب ابن الكلبي والأزرقى قد يكون من خشب، ويبدو أنَّه كان تمثالاً عظيم الكفين، أو حجراً فيه نتوءان على هيئة كفين حسب الباحث فراس السَّواح، ونحن نرى أنَّه كان رمزاً للعطاء والهيبة والخير في بسط الكفين، أو قد يكون رمزاً للشر من خلال بسط كفيه للتعبير عن العنف والشدة والغلظة، إنَّها تثنائية الخير والشر.	قبيلة دوس وذهب الأزرقى إلى أنَّه صنم عمرو ابن حممة	ابني منهب بن دوس	ذو الكفَّين	
37	الأصنام		ذو الشرى، زوج اللات أي هو إله مُذكَّر، كان إلهاً شمسياً في صخرة مربعة في معبده الرئيسي، وقد ذكره ابن الكلبي باقتضاب وتغافله الأزرقى.	قيل البتراء ويبدو من اسمه أنَّه كان إلهاً لمكان يُدعى الشرى.	لبنى الحارث ابن يشكر ابن مبشر من الأزدي، وقد عُبد عند قبائل عربيَّة متعدِّدة خاصَّة قبيلة دوس، وقد كان إله النَّبِط الأكبر	ذو الشرى	
38 39 48	الأصنام	قيل كسره النبي محمَّد	سبَّح وهلَّل الجاهليُّون حول هذا النَّصب، بل ربَّما كانوا يكسونه ويتبرَّكون به، بل كانوا يحجُّونه ويحلقون رؤوسهم عنده ويلقون شعرهم مخلوطاً بالدَّقيق، وكانت هوازن تُقبل على هذا الشعر فتخبزه وتأكله، للتدليل على مدى الوفاء والحبِّ والحاجة إلى هذا الإله، وقد أغفل ذكره الأزرقى.	مشارف الشَّام	ربيع بن ضبُع الفرَّاري	الأقصر	
					قضاة ولخم وجذام وعاملمة وغطفان وأهل الشَّام		

39 40	الأصنام	لقد راجع خُزاعي ابن عبد نهم نفسه وعقله ثمّ يكسّره ويلحق بالنبي ويسلم ويضمن له إسلام قومه			آخر سادن خُزاعي ابن عبد نهم	قبيلة بنى عداء ومُزينة وهي من قبائل مكة	نهم
40	الأصنام					أزد السّراة	عائم
41 42	الأصنام		من الروايات التي ذكرها ابن الكلبي، أنّه مرّ به جعفر بن أبي خلاس الكلبي على ناقته، فنفرت الناقة من رؤية العناتر المصّرة، فقال فيه شعراً، وقد أغفل ذكره الأزرقى.			عنزة وهي قبيلة تنزل بالحجاز ونجد.	سُعير
10 11 43 إلى 45	الأصنام		كان أتباعه يُسمّون أنعامهم وحروثهم بينه وبين الله، ويُرجّحون نصيب عُميّانس، وإذا ما الغيث عنهم احتبس، توسّلوا إليه بالدّبائح، فهو حسب ابن الكلبي قبلتهم للاستمطار ولعلّ هذا ما أسس عبادة صلاة الاستسقاء عند المسلمين في ما بعد، أمّا الأزرقى فلم يُشر إليه.	أرض خولان		خولان، بطن من خولان يُقال لهم: الأدوم وهم الأسوم	عُميَّانسُ وذكره ابن الكلبي بصيغة عمّ أنس
63	الأصنام ما ذيلّه المحقّق في آخر النسخة		كان لجديلة صنم أخذته منهم بنو أسد، فتبدّلوا اليعسوب بعده، وربّما كان هذا الصنم على هيئة الفرس، لأنّ اليعسوب في اللّغة الفرس السّريع الطّويل، أو الجواد السّهل في عدوه، أو البعيد القدر في الجري، وهكذا نلاحظ كيف أنّ الحيوان يُسهّم في تشكيل معبود الجاهلي، ولعلّ الفرس أكثر تواتراً وحضوراً في العبادات والطّوقس، نظراً إلى هذه العلاقة بين الجواد والجاهلي والطبيعة الصحراوية، أمّا الأزرقى فلم يُعرّج على ذكره.	طيّ		جديلة	اليَعُوبُ
63	الأصنام ما ذيلّه المحقّق في آخر النسخة					الأزد ومن جاورهم من طي وقُضاعة	باجر بفتح الجيم وربّما قالوا بكسر ها وروى ابن الأثير في النهاية أنّه يُسمّى باحر بالحاء المهمله
137 إلى 140	أخبار مَكّة الجزء الأوّل	العبّاس ابن الربيع	كان في قبة القليس سلاسل فضّة، وكان في القبة، أو في البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يُقال لها: كُعيب، وخشبة من ساج نحوها في الطول يُقال لها: امرأة كُعيب، كانا بهما في الجاهليّة، وكان يُقال لكُعيب: الأحوزي والذي نفهمه أنّ هذه الآلهة شبيهة بأساف ونائلة إنّها ثنائيّة المُذكر والمؤنث أو دلالة الخصوبة.	آلهة موجودة داخل القليس، إلا أنّ ابن الكلبي تحدّث عن القليس باعتباره	أبرهة بن الأشرم	أهل اليمن	الأحوزي وقيل اسمه كُعيب

				بيئاً ولم يتحدث عن هذه الآلهة			
129 130	أخبار مكة الجزء الأول		شجرة عظيمة خضراء يأتونها كل سنة يُعلقون عليها أسلحتهم ويدبحون عندها ويعكفون عندها يوماً، وكان من حجّ منهم وضع زاده عندها ويدخل بغير زاد تعظيماً لها، وهكذا نلاحظ أنّ العربي نوع طقوسه وشعائره بتنوّع مطالبه وتباين تخييله، وقد انفرد الأزرقى بذكر هذه الآلهة	حنين وهي منطقة قريبة من مكة كما ذكر ياقوت الحموي	قريش وبعض العرب	دات أنواط	
124 125	أخبار مكة الجزء الأول		نصب عمرو بن لحي على الصفا صنماً يُقال له: نهيك مجاود الريح، ونصب على المروة صنماً يُقال له: مُطعم الطير وهذا يُشير إلى ما عُرف فيما بعد في شعيرة الحجّ بالسعي بين الصفا والمروة، والجدير بالذكر أنّه لم يرد ذكرهما في كتاب الأصنام، وكذلك أغفل الأستاذ أحمد زكي باشا الإشارة إليهما في التكملة التي أضافها إلى كتاب الأصنام، إلا أنّ ابن الكلبي تحدّث عن الطائر في السماء والحية في الأرض تحرس بئر الكعبة وما يُوضع فيه من نذور وقرابين، إذن هل يُمثّلان إلهاً أو كلّ واحد يُعدّ إلهاً واحداً للسماء والآخر للأرض، وهو ما يُفسّر أنّ البعض من عرب الجاهلية يعبد ما يتّصل بالسماء مثل الكواكب، والآخر يعبد ما يتّصل بالأرض مثل الأموات.	نُصبا على جبلي الصفا والمروة أي في موضع شعيرة السعي	صنمان مركزيان في ديانة المكّيين قبل الإسلام	مُطعم الطير ومجاود الريح	

من البيوت المعظمة عند العرب

اسم البيت	قبائل تعبدت له	سنته	موضعه	رمزيته	مهّمه	المدونة	الصفحة
قصر سندان/كعبة سندان	بنو الحارث ابن كعب وبالتحديد قبيلة إياد	الأسود ابن يعفر	الظهر وهي منطقة بين الكوفة والبصرة	هذه الكعبة هي عبارة عن قصر تحجّ العرب إليه، ويذهب ابن الكلبي أنّ هذا البيت لم يكن بيت عبادة، إنّما كان منزلاً شريفاً أي عبارة عن غرفة للاجتماع (مجلس) وتبادل الرأى ولعلها شبيهة بما عُرف في ما بعد بدار الندوة.	الأصنام	44 إلى 46	
	أهل اليمن	أبرهة الأشرم	صنعاء	قيل هو بيت، وقيل كنيسة من الرّخام والخشب المذهب، وسُميت بهذا الاسم نظراً إلى ارتفاع بنائها بحيث يُشرف منها على مدينة عدن، تُهدى لها مثلما تُهدى للكعبة وتطوف بها كما تطوف بالكعبة وتُنحر عندها كما تُنحر عند الكعبة والغاية منها صرف العرب عن حجّهم عن بيئهم الذي يحجّون إليه. ويُفصل القول الأزرقى فيقول إنّ الذي بناه أبرهة الأشرم	أبو العباس ابن ربيع وقيل على ابن أبي طالب	46 47	

			الحبشي بحجارة قصر بلقيس الذي بمأرب وقد ورد وصفاً ضافياً من حيث مادة البناء والمساحة ونوعية الحجارة وأشكالها من ذهب وفضة ورُخام وفسيفساء وخشب مما يُفسّر البعد الجمالي في الزينة والزخرفة والتطور المعماري خاصة ما اتصل ببيوت العبادة				القلبيس
137 إلى 140	أخبار مكة الجزء الأول			مكة	قُصي ابن كلاب، وتذهب بعض الروايات أنه الكاهن الخزاعي عمرو ابن لُحي	قريش وسائر العرب	الكعبة، قيل سُميت الكعبة لأنها مكعبة على خلقة الكعب ويذهب الأزرقى إلى أن الكعبة بُنيت عشر مرّات: بناية الملائكة/ بناية آدم/ بناية شيث/ بناية إبراهيم وإسماعيل/ بناية العمالق/ بناية جرهم/ بناية قُصي بن كلاب/ بناية قريش/ بناية عبدالله بن الزبير/ بناية الحجاج بن يوسف
27 45 46	الأصنام	محاولة أبرهة الأشرم التي باءت بالفشل	الكعبة بيت للأصنام، لقد كانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وكان أعظمها عندهم هبل، فقد تكون بهواً جامعاً لكل الآلهة أو هي المركزية الدينية والسياسية، ناهيك وأن رؤساء الذين هم رؤساء الدنيا في ذلك الوقت، ولقد كانت هذه الأصنام في مختلف الأشكال والهيئات والصّور، بل كان النَّصارى قد نقشوا على جدران الكعبة صوراً لمريم والمسيح والملائكة وإبراهيم، ولقد أمر محمد عمر بمحوها يوم فتح مكة، وتاريخياً سعى بعض العرب في إقامة بيت بالحوراء يضاھون به كعبة مكة لاستمالة كثير من النَّاس إليهم.				
279 355	أخبار مكة الجزء الأول						
44 45	الأصنام		ذكرها الأعشى في شعره، وقد زعموا أنّها لم تكن كعبة عبادة، إنّما كانت غرفة، ويميل ابن الكلبي إلى هذا الرأى في حين أغفل الأزرقى ذكرها، ولعلّ تعدّد البيوت والقرابين والطّوقس يُعدّ جلباً لما يتوقّر فيه من منافع، ودرءاً لما يخشونه من شرور، ولعلّ تعدّد الآلهة يُعزى إلى تعدّد مطالب الإنسان وحاجياته واعتقاداته أو مردّه إلى شعور كلّ عشيرة أو بطن أو قبيلة إلى سند وحام.	نجران		بنو الحارث ابن كعب	كعبه نجران
11 إلى 13	الأصنام	الحبران اللذان صاحباً تُبع	يُضاهي البيت الحرام بمكة، ويذهب ابن الكلبي في إحدى رواياته إلى صدور الكلام منه للفانمين بعبادته أي يسمعون من أجواف الأوثان همهمة، يُعظّمونه ويتقربون عنده بالذبائح، ويخلط ابن الكلبي بين أنّه بيت للعبادة أو هو صنم أم هو وثن في بيت، وقد أغفل ذكره الأزرقى	صنعاء		حمير	ريّام وقد ذكر بصيغة رثام ورأم في اللغة أي رأف وعطف

يحصل بالحضارات القديمة، فصفات القوة والجمال والبطولة والحكمة هي ما نجده في التّراث الفكري والأسطوري لكثير من حضارات الشرق القديم. وقد تطوّر تعلق الإنسان بالشخصية الإنسانية الكاملة من مجرد التقدير والتعظيم إلى درجة التقديس وربما العبادة، وقد عرف البابليّون والعبرانيون هذه العبادة، ولكن هل تأثر العرب بهم في هذا الشأن؟.

لعلّ من تجلّيات عبادة الإنسان عند العرب ما نستخلصه من خلال هذه النماذج البشرية على نحو شخصية عمرو بن لحي الذي كان رثياً وكاهناً خُزاعياً، وقد ذهب في العرب كل مذهب، وكان قوله فيهم ديناً متّبِعاً لا يخالف،²³ بل انظر كيف استجابت العرب قاطبة تقريباً إلى دعوته في عبادة الأصنام، فعبدت قبيلة مُذحج يغوث، وهمدان يعوق، وحمير نسرأ، وبنو عبد ودأ وبنو عامر الأجدر ودأ، وهذيل سِوَاع²⁴، وجاء في رواية الأزرقى "أنّ عبد المطلب رأى في منامه أن يحفر زمزم في موضعها الذي هي فيه فحفرها بين أساف ونائلة"²⁵، أليست اليوم شعيرة من الشعائر التي وجب الالتزام بها، وطقساً من طقوس شعيرة الحج والعمرة؟ وكان بنو شيث يأتون جسد آدم في مغارة بجبل في الهند فيعظّمونه ويترحمون عليه²⁶، وآله بعض العرب عيسى لذلك تسمّى بعض الأشخاص في الحيرة بعبد المسيح، ومنهم عبد المسيح بن عمرو بن بقبيلة الغساني، وكان له دير معروف²⁷، وكذا الأمر في تأليه مريم العذراء، وقد سمّي أصحاب هذه الفرقة بالفطائريين لأنهم كانوا يقدّمون أقراص العجين والفطائر قرابين للسيدة العذراء²⁸، أمّا فرعون فقد ادّعى الألوهة، بل هناك من انساق وراءه خوفاً من بطشه أو لما رأى فيه من قوّة وسلطان²⁹، ولنا في أساف ونائلة نموذج لعبادة الإنسان، وأنّ عمرو بن لحي دعا النّاس إلى عبادتهما وقال لهم: "إنّما نصبا هاهنا، أنّ آباءكم ومن قبلكم كانوا يعبدونهما"³⁰، وهذا قد يقودنا إلى أنّ هذه التّصورات والمعتقدات كان لها آثارها المغرقة في المتخيّل والميثولوجيا وتأليه الإنسان في حيّز الفكر العربي الجاهلي وأطروحاته، ممّا يُفسّر ما ذهب إليه فرويد (Freud) مثلما وضّح ذلك

²³ - انظر، أخبار مكّة، ج1، ص 88، الأصنام، ص 54

²⁴ - انظر، الأصنام، ص 54 إلى 58

²⁵ - أخبار مكّة، ج2، ص 44

²⁶ - انظر، الأصنام، ص 50

²⁷ - انظر، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص 245

²⁸ - نفسه، ج6، ص 88

²⁹ - انظر، القصص 38/28، النازعات 17/79 إلى 24

³⁰ - أخبار مكّة، ج1، ص 88

فيلهم شميدت (Wilhelm Schmidt)، "إنّ الإله ليس سوى تصعيد للأب الفيزيائي للكائنات البشرية لا أكثر ولا أقل" ³¹.

ثانياً: إشكالية التثليث في العبادة: لعلّ أشهر ثالوث في مكة الجاهلية، وهو أشهر الآلهة هو الذي نُعت ببنات الله، يقول ابن الكلبي إنّ اللات والعزى ومناة كنّ بنات الله في اعتقاد الجاهلي وهنّ يشفعن إليه ³²، بل قد سُمي هذا الثالوث، بثالوث الغرانيق، وكأنّه وقع تشبيه هذه الآلهة بالطيور التي تعلقو في السماء وترتفع حتّى تشفع لعرب الجاهلية باعتبارها واسطة، أو قد ترمز إلى العلوّ والمفارق، فالأصنام في بعدها المادي تتجسّد في الأرض، وتتجسّد في السماء طيوراً تُمثّل الإله أصلاً.

ألا يكون هذا الثالوث امتداداً تاريخياً من الديانة المسيحية التي تقوم على الثالوث المقدّس، الآب والابن والروح القدس، ولعلّ البحوث الحديثة تُثبت هذا الاستنتاج إذ تذهب أنّ مجمع الآلهة العربي الجنوبي يكون من القمر وهو بمثابة الآب والشمس بمثابة الأمّ والزهرة بمثابة الابن ³³، وقد نلمس بُعد التثليث عند العرب الجاهليين بوضوح في عبادة الكواكب من خلال تلك العلاقة القائمة بين عتتر العربية وتُسمى كذلك الزهرة أو النجم الثاقب وعتتار الفينيقية، وعتتروت الآشورية البابلية، بحيث تجسّد التثليث الفلكي متمثلاً في القمر والشمس وعتتار أو الزهرة، الذي ظهر عند العرب ودارت حوله عمليّات معقّدة من الطقوس ³⁴.

ويذهب ابن الكلبي في الأصنام إلى أنّ قريشاً كانت "تطوف بالكعبة وتقول واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهنّ الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهنّ لثرتجى، كانوا يقولون: بنات الله وهنّ يشفعن إليه، فلمّا بعث الله رسوله أنزل عليه: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكّر ولّه الأنثى" ³⁵، إذن فاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بنات الله، أي إنّ الله عند الجاهلية هو حاصل جمع ثلاثة، أي الغرانيق العلى، وهذا الجمع يتشكّل من ذكرين اللات ومناة وأنثى واحدة العزى، وهذا التشكّل يدلّ على أنّ الكون انبنى على مبدئين اثنين، مذكّر ومؤنث، ويُحيلنا كذلك على هذا التشابه مع العائلة المقدّسة، الآب والابن والروح القدس، فالآب هو اللات ومناة مندمجين، والعزى الابن مُضمّر في الأمّ، أي الإلهة الأمّ وابنها، ثمّ الآب، وبعبارة أخرى هذا الثالوث المكي هو شبيهه بالتثليث المقدّس المسيحي، خصوصاً إذا اعتبرنا أنّ العزى أنثى وهي شبيهة بمريم، والطرفين

³¹- Mircea Eliade, la nostalgie des origines méthodologie et histoire des religions, Gallimard, Paris, 1971, P: 45.

³²- انظر، الأصنام، ص 19

³³- انظر، محمد (زكريا)، عبادة إيزيس وأوزيريس في مكة الجاهلية، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009، ص ص 86 إلى 120، الغرنوق طائر مائي أبيض.

³⁴- انظر، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص89 و102 وما بعدها.

³⁵- الأصنام، ص19، النجم 21-20-19/53

اللات ومناة مذكران شبيهان بالآب والابن، ولعلنا نجد صدى هذا التفسير في سورة المائدة "الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ"³⁶، والآية تعني في رأي الباحث زكريا محمّد "أنّ الله حاصل جمع ثلاثة، على أنّها تعني واحداً من ثلاثة"³⁷، ويفهم الباحث زكريا محمد النصّ القرآني "وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ إِلَهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوءًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا"³⁸، أنّه يُفيد عقيدة التثليث يوغوث ويعوق ونسر وهو شبيه باللات والعزى ومناة، والصيغة اللغوية، صيغة العطف مع النفي من دون فصل بلا، تجعل الثلاثة (يغوث ويعوق ونسرا) في ما يبدو مجموعة واحدة، بحيث تلحّ على المرء فكرة أنّها ثلوث محدّد³⁹، لكن هل يجوز أن تكون الثلاثة واحداً، ويكون الواحد ثلاثة؟

إنّ مكّة في الجاهليّة كانت ترى أنّ الله حاصل جمع ثلاثة، أو ثلاثة في واحد، وقد فسّر زكريا محمد ثالث ثلاثة على أنّها تعني واحداً من ثلاثة انطلاقاً من الآيات عن هجرة الرسول من مكّة مع أبي بكر "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ"⁴⁰. لقد قايس الباحث ثالث ثلاثة على ثاني اثنين "فثاني اثنين تعني مكملاً لاثنين، أي واحداً من اثنين، نحن نعتقد أنّ ثالث ثلاثة في الآية لا يعني هذا، فالمسيحية العربية القديمة، إضافة إلى الديانة المكيّة، كانت ترى أنّ الله تركيب من ثلاثة، وليس واحداً من ثلاثة، فالمبدأ المذكّر له اثنان من ثلاثة، والمبدأ المؤنث له واحد من ثلاثة، والله هو تركيب من المؤنث والمذكّر معاً"⁴¹.

ولدينا رواية ساقها ابن الكلبي لعلّها تدعم ما سبق ومفادها أنّ إله الجاهليّة كان حاصل جمع ثلاثة، وليس ثالث ثلاثة "كان الرّجلُ إذا سافر فنزل منزلاً، أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها، فاتخذه ربّاً، وجعل ثلاث أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك [...] وكان الذين يفعلون من ذلك في أسفارهم إنّما هو للاقتداء منهم بما يفعلون عندها (يقصد عند الكعبة وأصنامها) ولصباية بها"⁴².

والذي نستخلصه من هذا الخبر أنّ الجاهلي في اختياره لهذه الأحجار الأربعة يتمثّل طقساً دينياً، أي ثمّة علاقة دينيّة ما بين أحجار القدر وحجر الله "إذن فعندما يأخذ البدوي أحجاره الأربعة، ثمّ يختار إلهه من بينها،

³⁶- المائدة 73/5

³⁷- عبادة إيزيس وأوزيريس في مكّة الجاهليّة، ص 89

³⁸- نوح 23/71

³⁹- عبادة إيزيس وأوزيريس في مكّة الجاهليّة، ص 481

⁴⁰- التوبة 40/9 وانظر عبادة إيزيس وأوزيريس في مكّة الجاهليّة، ص 90

⁴¹- عبادة إيزيس وأوزيريس في مكّة الجاهليّة، ص 90

⁴²- الأصنام، ص 33

ويقيم بالثلاثة الباقيات موقده، فإنما يقوم بطقس ديني عميق المغزى⁴³، فإذا صحَّ فإنَّ هذا السلوك ربّما يُفسَّر جملة "الله ثالث ثلاثة، فهناك أحجار قدر ثلاثة ترمز لبنات الله الثلاث، في حين أنّ الحجر الرابع، حجر الله، هو رمز لتركيبها كلّها معاً. فالله هو حاصل جمعها معاً. إنّه الثلاثة في واحد. من أجل هذا فهو يُجمع معها، ثمَّ يُؤخذ وحده"⁴⁴.

ولا نستبعد هذا التحليل ممّا ذهب إليه كارل غوستاف يونغ (C.G.YUNG) من القول بعقيدة التثليث باعتبارها انعكاساً للحالة النفسيّة للإنسان، ويستنتج من ذلك أنّ الله رُدَّ إلى صورة متعالية شكّلها الإنسان حول نفسه وأسقطها على النظام الميتافيزيقي، ألا نجد خيطاً ناظماً بين هذا التحليل النفسي الديني عند يونغ (YUNG)، وما ذهبت إليه كتب الأخبار والتراث من ذلك الأصنام وأخبار مكة، فيما سلكه العربي الجاهلي من عبادة اللات والعزى ومناة، أو ما عبّر عنه بثالوث الغرانيق، أو في جمعه للأحجار الأربعة واصطفاء الحجر الرّابع باعتباره ربّاً أو هو يُجسّد الإله، ولعلّ يونغ (YUNG) تجاوز التثليث إلى القول بالتربيع، خاصّة في المحاضرة الثانية في كتابه: **الدين في ضوء علم النفس**⁴⁵، وبالتحديد ما يمكن أن يُحيل عليه عدد أربعة من رمزيّة أو دلالة موصولة بالدين، فالتثليث يفتقر إلى عنصر مُغيّب وهو العنصر الرّابع (الشرّ = الشيطان) بما أنّ اللاوعي أو اللاشعور أو الخافية يصوغ الآلهة في شكل رباعيّ، وليس في شكل ثالوث⁴⁶.

إذا كان هذا على مستوى عدد الآلهة المكيّة بصورة خاصّة والجاهلية بصورة عامّة لم يستقرّ على حال، فما بالك بالمادّة الأوّليّة التي من خلالها صنع أو أبدع ربّه، فما هي هذه الآلهة وأشكالها هي وثن وصنم ونصب وتمثال، وزجاج ونحاس وذهب وفضّة وحيوان، أو قد تكون مظهراً من مظاهر الطبيعة.

ثالثاً: بصرف النظر عن عدد الأصنام وتواتر أهمّها، ووصفها وماهيتها، فإنّ هذه المعبودات كانت موصولة بأماكن مقدّسة، لذلك تعدّدت البيوت المعظّمة بتعدد المعبودات، وإن وقع تغييب هذه المحجّات والكعبات ودور العبادة والبيوت المعظّمة الأخرى والتركيز على الكعبة المكيّة.

⁴³ - عبادة إيزيس وأوزيريس في مكة الجاهليّة، ص 92

⁴⁴ - عبادة إيزيس وأوزيريس في مكة الجاهليّة، ص 91

⁴⁵ - يونغ (كارل غوستاف)، الدين في ضوء علم النفس، ترجمة وتقديم نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1988، ص ص 70 إلى 79

⁴⁶ - انظر، المسعودي (حمّادي)، درس ماجستير، كآية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة القيروان، 2008، ويونغ (كارل غوستاف)، الإله اليهودي، بحث في العلاقة بين الدين وعلم النفس، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقيّة، سورية، ط2، 1995، ص ص 62 إلى 67، وكذلك:

Michel Meslin, pour une science des religions, ed. du seuil, Paris, 1973, P:132-134.

إنّ ما اتصل بالبعد الطومني في العبادة، وبرمزيّة الحجارة عند العرب الجاهليين، وعبادة البشر والأرواح والأموات والملائكة والجنّ، وبإشكاليّة التثليث في مكّة الجاهليّة، وبماهية الآلهة -ونقصد بذلك أشكالها ومضامينها وهيئاتها- وبتواتر البيوت المعظّمة وتعدّد المحجّات والكعبات والدُور، يعكس مدى الترابط الوثيق بين هذه الألوان والمؤشرات وبنية المجتمع العربي الجاهلي وملاحمه، وركيزة كلّ ذلك القبيلة باعتبارها مركزاً مُهمّاً في مجتمع الجزيرة العربيّة وما أفرزته من دين وطقوس، خصوصاً من خلال نفوذ بعض الأعلام مثل عمرو بن لُحي وعبد المطلب بن هاشم وقُصي بن كلاب وغيرهم كثر.

فالقبيلة هي عماد الحياة الجاهليّة، بها يحتمي الجاهلي في الدفاع عن نفسه وعن عرضه وماله، ومن خلالها يستنبط دينه وعاداته وتقاليده، والذي يسود القوم ويحكمهم هو رئيس القبيلة وشيخها وسيدها وربّها، وأساس النظام القبلي هو العصبيّة، والعصبيّة للأصل والعشيرة والانتماء والآلهة وسائر مكونات القبيلة، والذي يشدّهم هي رابطة النسب أو ما يُعبّر عنه برابطة الدم وصلّة الرّحم، هذه المؤشرات تعكس ملامح المجتمع وطبيعة التديّن، لذلك ما نرصده من عبادة الأصنام والأوثان والظواهر الطبيعيّة والخوافي وغيرها من المعبودات هي وليدة المجتمع، وهي ظاهرة اجتماعية نشأت وترعرعت داخل المجتمع الجاهلي واتّحدت بظروفه، وهي عبارة عن تصورات جمعيّة شكّلت ظاهرة التديّن من خلال تراكمات سلوكيّة وتصوّرات طقسيّة، كانت منتشرة عند عرب الجاهليّة، مثل التطيّر والكهانة ومحاولة معرفة شؤون المستقبل، وهو ما يُفسّر المكانة التي حظيت بها طريفة الكاهنة⁵⁰، أو الكاهن الخزاعي عمرو بن لُحي، فكلاهما تتمّع بصفات خارقة، فابن لُحي كان له رأي من الجنّ، يأتيه بأخبار الغيب يُكنّى أبا ثمامة⁵¹، وتبعاً لذلك استجابت العرب قاطبة تقريباً إلى دعوته في عبادة الأصنام، فعبدت قبائل مُذحج يعوث، وهمدان يعوق، وحمير نسر وبنو عبد ودّ وبنو عامر الأجدر ودّ، وهذيل سِوَّاع⁵²، ونصب لهم مناة على ساحل البحر ممّا يلي قديداً⁵³ وهي من أقدم أصنام العرب، وقد بقي هذا الصنم مُعظّماً عند العرب الجاهليين حتى عام ثمانية للهجرة حين بعث محمد عليّاً بن أبي طالب فهدمه⁵⁴، واتخذ العُزّي بنخله، وكانت قُريش وبنو كنانة كلّها وبنو نصر وجشم، وسعد بن بكر وهم عجز هوازن يُعظّمون العُزّي مع خزاعة وجميع مُضر وكان سدنتها الذين يحجبونها بني شيبان من بني سليم حلفاء

⁵⁰- انظر، أخبار مكّة، ج1، ص ص 92-94

⁵¹- انظر، الأصنام، ص 54

⁵²- انظر، نفسه، ص ص 54 إلى 58

⁵³- انظر، أخبار مكّة، ج1، ص125، وقديداً هي منطقة بين ينبع ورايح.

⁵⁴- انظر، الأصنام، ص 15

المروة صنماً يُقال له: مطعم الطير⁶¹، وغير تلبية إبراهيم⁶²، فأسس الرجل عدداً من الشعائر والمناسك، التي تواصلت إلى يومنا هذا، وتحكم صاحبها في أحوال القبائل دينياً واجتماعياً "وكان عمرو بن لحي فيهم شريفاً سيّداً مطاعاً ما قال لهم فهو دين مُتَّبَع"⁶³.

فهذه النماذج والظواهر والمعتقدات والنفوذ البشري والسلوك بتعددتها وتلوّنها وتباينها تعكس ملامح المجتمع الجاهلي وبنيتة، وتشي بأن طقوسه هي وليدة الحاجة وصناعة الاجتماع والمجتمع، وإننا نفترض "أنّ كلّ ديانة ضاربة الجذور في التاريخ يدين بها شعب هي تعبير عن سيكولوجية هذا الشعب بمقدار ما يُعبّر عنها مثلاً شكل الحكم السياسي الذي طوّره هذا الشعب"⁶⁴.

خاتمة الفصل

إنّ الصنميّة هي تعبير عن فكرة ثريّة متنوّعة من واقع عرب الجاهليّة، أو قد تكون من الماضي المنقول إلى حاضرهم، فغاية ما ينشده الجاهليّ هو أن يُحافظ على حاضره وأن يزود عنه، وأن ينقل تجربته إلى الأجيال اللاحقة، إنّه يعيش حالة تكرارية لما كان عليه السّابقون، بل هو تكليس للواقع الديني والاجتماعي والاقتصادي ومحاولة نقله إلى المستقبل، وقد نجد صدقاً لهذا الواقع بكلّ تلوّناته من خلال كتابي الأصنام لابن الكلبي وأخبار مكة للأزرقي، بحيث مكّنا البحث من استخلاص نتائج مهمّة حسب اعتقادنا تسمح بإعادة النّظر في فهم جديد لحقيقة التدين عامّة وعند عرب الجاهليّة بصورة خاصّة ومن هذه النتائج:

- لقد وقفنا على بعض الروايات المتّصلة بسرد سيرة الآلهة والمعبودات وأخبار المحجّات من خلال كتابي الأصنام وأخبار مكة، إلا أنّ هذه الأخبار غلب عليها الطابع القصصي، الحكائي والتخييلي من جهة، واللّبس والغموض والتناقض واضطراب الأخبار والمرويات من جهة ثانية، ولعلّ سبب ذلك هو ميل الرواة إلى تأريخ الأحداث بصورة تخدم التّقاليد الإسلاميّة والتأسيس لدين جديد جبّ كلّ ما كان قبله، إضافة إلى أنّ البعد الأسطوري والخُرَافي عادة وفي الغالب ما يقوم بإشباع الغرائز المكبوتة فينا، ولعلّ هذا يرجع إلى اعتقاد الإنسان وافتراضه أنّ كلّ شيء مُنع عنه يُباح للآلهة.

⁶¹- انظر، نفسه، ج1، ص 124

⁶²- انظر، نفسه، ج1، ص 194

⁶³- أخبار مكة، ج1، ص 88

⁶⁴- الدين في ضوء علم النفس، ص 97

- إنَّ توسّع الأزرق في حديثه عن مكّة وأخبارها وما اتّصل بها من مناسك وشعائر مثل الحجّ والطّواف والسّعي وبناء الكعبة وتواريخ هدمها ومراحل تجديدها لم يُهمل أخبار الآلهة والأصنام والأوثان، فبدت الكعبة بيتاً للأصنام، ورؤساء الدّين هم في الحقيقة رؤساء الدّنيا في ذلك الوقت.

- ولئن توسّع ابن الكلبي في أخبار الآلهة والأصنام والأوثان وأنواعها وتواترها في الجزيرة العربيّة، فرصد كلّ ما يُمكن أن يتّصل بهذه الطّفوس الدينيّة، فإنّه لم يُهمل الحديث عن أخبار مكّة وما اتّصل بها من شعائر، ويبدو الفرق بين الرجلين أنّ ابن الكلبي توسّع في ذكر الآلهة، أين ضيق الأزرق، حيث توسّع في أخبار مكّة وتاريخها، إلا أنّ هذا لا ينفي أنّ كلّ واحد منهما انفرد عن الآخر بذكر عدد من الأصنام في حين أغفلها الآخر إمّا عمداً أو سهواً، على الرغم من وجود بعض القضايا والمواضيع التي تُعدّ قاسماً مُشتركا بين المؤلّفين.

- إنّ ظاهرة التديّن هي وليدة الاجتماع والمجتمع، فالديّن هو نتاج القبيلة وحاجياتها ووليد متطلّبات الفرد النفسيّة والاجتماعيّة تثبيّناً لكيانه وترسيخاً لهويته.

- إنّ الآلهة كانت عبارة عن واسطة بين الجاهلي وربّه المُتخيّل وقد تكون عُبدت لذاتها، فجسّدت آلهة الجاهلي وملاذه الوحيد.

- حاولنا أن نرصد مختلف الآلهة في نشأتها وماهيتها ورمزيتها وأماكنها وسدنتها، وكيف انعكست على ملامح المجتمع الجاهلي في سلوكه وتديّنه واختياراته ومواقفه من الإنسان والكون والوجود ومن عالمي الشهادة والغيب، وبتتبّعنا لشبكة الآلهة في كتابي الأصنام وأخبار مكّة أدركنا أنّها تشي بعدة دلالات منها عقيدة الطوطميّة العربيّة ورمزيّة الحجارة وما تشي به من أبعاد وظاهرة التثليث في الاعتقاد وعبادة الإنسان وتألّيهه، وأنّ القبيلة مصدر مركزيّ في بنية المجتمع وهي نتاج الدّين والتديّن، لأنّ لدى كلّ إنسان ميلاً للتقليد والمحاكاة على مستوى الرغبة، علماً أنّ إخفاق هذه الرّغبة ليس بالضرورة فشلاً بل سوف يُؤدّي حتماً إلى تقوية حُبّ التقليد وتحفيز حُبّ المحاكاة وهو ما تمثّله أفراد القبيلة وما هو جار ومعاد حتّى في مجتمعاتنا المعاصرة.

- وقفنا على أنّ القبيلة قُطب الرّحى في بنية المجتمع الجاهلي، وكيف كان لها الدّور الرئيس والمركزي في نشر التديّن، وخلق أعلام مثل قُصي بن كلاب وعمرو بن لُحي ونحوهما كان لهم بالغ الأثر في بلورة ملامح المجتمع الجاهلي.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية
ص.ب : 10569
هاتف: 00212537779954
فاكس: 00212537778827
info@mominoun.com
www.mominoun.com